سالي

ليليا

قصة بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

كنت واقفاً على رصيف شارع كونغستاتن اتطلع الى الأنوار المتلألئة في واجهات الحوانيت الأنيقة وعلى نواصي البنايات الفخمة في هذا الشارع الرئيسي من شوارع ستوكهولم، حين لمحت فتاتين تقفان الى جانبي تتطلعان الي في الحاح وتتحدثان كأنهما تتحدثان في شأني . قالت احداهما لرفيقتها — ولم اكن افهم حديثهما ولكن سالي روته لي فيما بعد — قالت احداهما وهي الحمراء الشعر لرفيقتها:

— الا ترين الى هذا الفتى الاسمر الوجه الأسود العينين ؟ انه يعجبني واشتهي ان احدثه .

فقالت صاحبتها :

— انه غريب ، فجربي ان تحدثيه بالانكليزية ... ولكن كيف تبدأينه بالكلام ؟

فلم تجبها ذات الشعر الأحمر . على اني كفيتها مؤونة الاجابة ، فقد لحظت تطلعهما اليّ وحديثهما فبدأتهما انا بالسؤال عما اذا كانتا من ستوكهولم ام انهما غريبتان عنها مثلي . فقالت الأولى :

— انني من لوند واعمل هنا موظفة في البريد ، وصاحبتي هذه من غوتنبرغ وهي تعمل سكرتيرة لطبيب . ونحن نسكن غرفة واحدة سينتهي ايجارها بعد اسبوع ، ولذلك فاننا في سبيل البحث عن غرفة غيرها .

فضحكت وانا ارى اليسر والبراءة اللذين نفضت بهما كل هذه المعلومات اليّ ، وقلت :

— آسف على اني لست بالكبير الفائدة لكما في هذا . فأنا قليل المعرفة بهذه المدينة ، حللت بها اول امس قادماً من باريس . ولكني استطيع ان ادعوكما الى تناول قدح من القهوة في « ريغن بيغ » ، المقهى الذي أرى من هنا واجهته مضاءة بالوان قوس قزح ، كاسمه .

فقالت حمراء الشعر ، دون ان تغيب لهجة البراءة من حديثها :

— ان ميربيت ، رفيقي ، على موعد . اما انا فيسرني ان اجيب دعوتك .

وقرنت قولها بالفعل فتقدمتني الى مقهى الريغن بيغ بينما ودعتنا ميربيت ، رفيقتها ، ذاهبة الى موعدها .

وهكذا عرفت سالي اريكسون في تلك الامسية في ستوكهولم . كانت سالي ، كما قلت ، حمراء الشعر وكانت فوق ذلك وردية البشرة ، لها شفتان مضمومتان لم تكن تصبغهما فكانتا تبدوان بحمرتهما الطبيعية لفتاة تنفجر صحة وشبابا ، حمرة غريبة اقرب ما تكون الى لون النار كأنما انعكس على اديمها لون شعرها الملتهب . وكان قدها الملفوف رشيقاً على ملاءة ، تتكفأ في مشيتها كلما اسرعت كأنها تلميذة مدرسة حديثة عهد بلبس الحذاء ذي الكعب المرتفع . ولقد طوقت خصرها بذراعي وقبلت شفتيها تلك الليلة بعد ان خرجنا من ملهى « شينا » في ساحة نيبرو بلان ، وفي الزاوية التي كنا ننتظر فيها مرور عربة الترام ، فلم تبعد ذراعي عن خصرها ولا مانعت في تقبيلي شفتيها . ولكنها ، حين اخذت بين يدي محياها لأرى في عينيها مدى ما اثرته في نفسها فعلتي ، قالت لي في هدوء :

— نحن لم نتعارف الا هذا المساء !

فشعرت بان عتبها الهادىء هذا قد سكب الماء البارد في عروقي واطفأ الرغبة العارمة في جوانحي ، واخجلني . وبعد ان سكتت سالي قليلاً قالت :

— انك قادم من باريس . يقولون ان الناس يقبل بعضهم بعضاً في الشوارع هناك . ولكنك قل ان ترى هذا هنا .

فتطلعت حولي وانا احسب ان كل من في الساحة كان ينظر الينا ، ولكني لم ار احداً . ولما التفت الى سالي رأيتها تحدق فيّ بعينيها الرماديتين البريئتين ، ثم ترفع كفها الرخصة الدقيقة الاصابع فتمسح بها خدي ...

وكانت سالي تعمل في دائرة البريد اثناء النهار . اما انا فقد كنت في تلك الاثناء اتنقل بين المتاحف والحدائق والمعالم القديمة للجزر القائمة عليها مدينة ستوكهولم . فاذا حل المساء حل معه موعدي مع سالي ، فالتقينا على اريكة من ارائك الريغن بيغ ثم خرجنا نطوف بين كهوف المدينة العتيقة التي حورت لتصبح مطاعم على طراز ايام القرصان ، او على الارصفة المقفرة على ساحل البحر الذي يتخلل المدينة من كل جانب ، او في ملاعب سكانسن ، حديقة الملاهي ، الساطعة بالانوار . وفي بعض الاحيان كانت سالي تصعد معي الى غرفتي في الفندق ، فتتلهى بتقليب مجموعة الصور التي احتفظ فيها بذكرياتي من باريس ومن ايام دراستي في دمشق او من عهود صباي في بلدي وباديته على الحدود في شمال سوريا ، بينما اتكىء انا الى جانبها ارقب الاهتمام الشديد الذي يبدو على محياها كلما وقعت عيناها على صور اهلي واصحابي في ملابسهم البدوية وعلى ظهور خيولهم . وبين الحين والحين كنت اخلل يدي في شعرها او اصرفها عن الاهتمام بالصور بضمها الى صدري وتقبيل ثغرها . حينذاك كانت سالي تلقي الصور من بين يديها وتضع رأسها على صدري مستسلمة في وداعة لمداعباتي ما دامت رقيقة ، فاذا آنست مني الحاحاً او احست من نفسها ضعفاً عرتها انتفاضة ثم جذبت نفسها من بين ذراعي وامسكت بكفيها اصابعي وتطلعت في عيني بتلك النظرة الهادئة فاحس من جديد بذلك الشعور الذي تملكني حين عاتبتني عتابها الرقيق اول ليلة . وما اعجب ما تتبدل به حالي بعد تلك النظرة . كل رغبة تلهب عروقي في هذا الجسد الصبي الشهي تتبخر وتصبح رفقاً وحناناً . أرفع عندئذ كفي سالي الى شفتي ثم آخذ بيدها لأوصلها الى موقف الترام قبل فوات الوقت ، لتستيقظ صباح اليوم التالي وتستأنف عملها فياضة بالحيوية بريئة من كل شائبة .

الى ان رحلنا معاً ، انا وسالي ، الى ابسالا . وكانت رحلتنا معاً نتيجة لطردنا من غرفتينا في ستوكهولم ، انا من غرفتي في الفندق وهي من غرفتها في النزل الذي كانت تسكنه مع ميربيت. وكان طردي انا مفاجأة لي. فحين مررت بمكتب الفندق ذلك الصباح وجدت في الكوة الخاصة بي في لوحة النزلاء ورقة بحسابي مع رجاء بتسديده قبل مغادرة الفندق . ودهشت من تلك الفتاة التي كانت تحتل مكتب الادارة والتي قلت لها اني لست انوي

قصة الشهر

مغادرة الفندق ، دهشت منها حين قالت لي انها آسفة كل الاسف، فلقد كنت انبأتهم يوم قدومي ان اقامتي لن تطول الى ابعد من هذا اليوم، ولذا فانهم حجزوا غرفتي لنزيل جديد ، وانها آسفة ايضاً على انها لن تستطيع اعطائي غرفة اخرى اذ ان كل غرف الفندق محجوزة لاسبوعين، فنحن مقبلون على مهرجانات سانت اريك ماسان ، وهي موسم من مواسم ستوكهولم يقبل عليها فيه الزوار من كل حدب وصوب . وكانت فتاة الفندق جد مهذبة في الفاظها الحازمة، كما كانت جد لطيفة حين اتصلت بكل فندق في المدينة فلم تجد في واحد منها غرفة شاغرة، وكل ما قدرت عليه هو ان تجد بوساطة ادارة السياحة غرفة عند سيدة وحيدة في ضاحية كونغسهولمن قبلت ان تستضيفني بأجر يومي قدره عشرة كورونات . ولم يكن امامي غير الامر الواقع ، فحزمت امتعتي واستقللت سيارة اجرة الى ضاحية كونغسهولمن الحديثة البناء الفسيحة الارجاء . وبعد ان رتبت امري هناك عدت الى مقهى الريغن بيغ وموعدي مع سالي .

اما سالي فقد كان طردها من غرفتها متوقعاً ، فهذا آخر يوم لها من ايجارها . ولكنها كانت تأمل ان تصل صديقتها ميربيت الى حل لأزمتها في هذا اليوم بينما كانت هي ، اعني سالي ، تعمل في مكتبها في دائرة البريد. فلما التقينا في المساء امام الريغن بيغ عرفت انها قادمة لتوها من المحطة الرئيسية في ستوكهولم حيث اودعت امتعتها في ردهة الامانات في تلك المحطة . ذلك ان ميربيت عجزت عن ان تجد، في موسم سانت اريك ماسان ، غرفة خالية، فالتجأت الى ضيافة قريبة لها وتركت سالي الى امرها تتدبره. ولحظت الضيق الشديد الذي كانت سالي فريسة له والغيظ الذي لم يألفه طبعها الوديع ولا نفسها الرقيقة حتى لتكاد ان تتفجر منه عيناها دمعاً ، فأخذت بيدها واجتزنا ساحة نورماستورغ والشوارع الضيقة التي تليها حتى انتهينا الى الرصيف المقفر على لسان البحر الذي يفصل بين دار الاوبرا والقصر الملكي . وبينما كنا نقف مستندين الى سياج جسر فازا نتأمل في انعكاسات اضواء الزينة في القصر الملكي على مياه الترعة ، صاحت سالي في نزق :

— تأمل! عشرات الحجر في القلعة الملكية مقفرة لا يتنفس فيها انسان وانا ابحث عن سرير خال في كل ستوكهولم فلا اجد .. سأكتب الى الملك بهذا.

وسكتت لحظة ثم قالت كالمستدركة :

— سيكون ذلك بعد فوات الوقت. اين انام يا ربي هذه الليلة ؟ سألقي بنفسي في مياه هذه الترعة .

وتقدمت نحو حافة الجسر في خطوات ثابتة حتى لقد حسبت انها ملقية نفسها حقاً ، فأمسكت بها وانا اقول متضاحكاً :

— ماذا تفعلين ؟ سألقي بنفسي في اثرك .

قالت :

— انت ستنام الليلة في سريرك في كنغسهولمن ، اما انا فليس لي إلا مياه الترعة . قل لي ، ألم تكن تريد الذهاب الى ابسالا ؟ .

قلت :

— بلى ، وقد اقترحت ذلك عليك منذ ايام.

قالت :

— غداً يوم احد ، فلماذا لا نذهب هذا المساء؟

فعجبت كيف لم يخطر ذلك ببالي قبل ان اذهب بامتعتي الى غرفة السيدة الوحيدة في كنغسهولمن. وتطلعت الى ساعتي ، وكانت حوالى الثامنة مساء، وقلت لسالي:

— هل هناك قطار الى ابسالا في هذه الساعة؟ وهل تحسبين اننا واجدون ندقاً يؤوينا ام ان سانت اريك ينتظرنا هناك ليعاملنا في ابسالا معاملته لنا في ستوكهولم ؟

فاخذت سالي بيدي وجرتني وهي تسرع بمشيتها المتكفئة وتقول :

— تعال معي الى غرفة التلفون . سنتصل بفنادق ابسالا فلا بد من ان نجد من يعطف علينا فيها .

ولم يكن الأمر هيناً على ما بدا لي . فبينما كنت في ردهة الانتظار . اتلهى بتقليب مجلدات دليل الهاتف كانت سالي تطلب، بالتلفون، فنادق ابسالا فندقاً بعد فندق . وكنت الحظها من خلال زجاج غرفة المخابرة وهي تقلب الدليل وتضع في ثقوب الآلة الاوتوماتيكية قطعة نقد معدنية في اثر قطعة. ورأيت وجهها ينبسط بعد طول تقطيب ثم خرجت الي وهي تقول :

— وجدتها... امامنا ساعة وعشر دقائق لنلحق بقطار ابسالا المقبل. فعلينا ان نعجل بالذهاب الى كنغسهولمن ، وعليك انت ان تجد عذراً لائقاً لتبرر تركك غرفتك هناك قبل ان تمضي فيها ليلة واحدة . هيا فالوقت ضيق .

فتبعت سالي دون ان اسألها ايضاحاً. وبينما كنت احزم امتعتي للمرة الثانية في يوم واحد واضعها في حقيبتي كانت سالي تثرثر مع صاحبة الدار ، وهي عجوز طاعنة في السن نحيلة القد يحمل رأسها اكليلاً ناصع البياض من الشعر الاشيب. ولما خرجت من الغرفة احمل حقيبتي بادرتني العجوز بسيل من الكلام فهمت منه انها آسفة لمفارقتي اياها ، واشارت الى مجموعة من الكتب كانت ملقاة على مائدة الردهة. فلما قلبت تلك الكتب لحظت انها كتب باللغة السويدية تبحث عن الشرق الادنى والبلاد العربية وسوريا، ففهمت انها قد نفضت الغبار عن هذه الكتب من مكتبتها لتعرف شيئاً عن نزيل غرفتها هذه الليلة، هذا العربي . وبينما كنت اتأهب لتوديعها لفتت نظري بين الكتب مجموعة تشبه ان تكون كتاباً مخطوطاً . فلما قلبتها وجدت بين اوراقها المكتوبة باليد عدداً من الصور الشمسية القديمة لاعراب على خيولهم بجانب بيوت من الشعر وخيام منصوبة . وكم كانت دهشتي عظيمة حين رأيت بين تلك الصور صورة للخان ، وهو بناء اثري يقع قرب بلدتي في بادية العشيرة التي انا منها ، لا يزال رسمه منقوشاً في ذاكرتي من ايام صباي حينما كنا ننزل سفحه ايام الربيع ونرعى اغنامنا في سهوله المعشبة . ولم يكن لديّ وقت اضيعه في تأمل الصور والاستفهام عن الكتاب المخطوط فقد كانت سالي تستحثني للحاق بالقطار قبل فوات الوقت . فهززت يد السيدة العجوز معتذراً وانطلقت مع سالي الى سيارة التاكسي التي كانت تنتظرنا .

ولما انطلقت بنا السيارة الى المحطة قالت لي سالي :

— نسيت ان اخبرك . سننام في ابسالا في غرفة واحدة. لم اجد في كل فنادقها غير هذه الغرفة لهذه الليلة .

فتطلعت اليها لأرى التعبير المرتسم على وجهها وهي تقول لي هذه الكلمات، ولكن الظلام كان يلف محياها. وبينما كانت السيارة تدور في احد المنعطفات التصقت سالي بي ، فطوقت حينئذ جسمها بذراعيّ واغرقت في شعرها العطر شفتي ...

٢

في مضافة الربعة ، وهي جناح الضيوف في بيت الشعر الرحيب الذي كان لنا في مقامنا على بئر الأكحل قرب الخان ، كنت اقص في همس على لداتي من الشباب المحيطين بالنار الموقدة بعض قصتي مع سالي . وكان الوقت آخر ليل من ليالي الربيع والضيوف يغطون في نومهم في جوانب المضافة . وكان دحام، وهو خادم بيتنا العجوز ، ينام قريباً منا ملتفاً بفروته متوسداً ذراعه. فلما وصلت الى وصف مفاتن سالي ، سالي التي ما كان ابعدها عني في هذا الليل وهذا المكان ، سمعت من ورائي صوت دحام وهو يقول :

– اني اعرف هذه البُنيّة .

فالتفتنا جميعاً اليه دهشين من ان يسمع نجوانا هـــذا الشيخ ونحن نظنه غارقاً في رقاده . وتسلل نور لسان من اللهب الى وجهه ، فرأيناه يرفـــع رأسه من مرقده وسمعناه يقول مؤكداً :

– نعم اني اعرفها .

فصاح به احدنا :

– من هذه التي تعرفها ؟

قال :

– البنت التي تتحدثون عنهـــا . فتاة حمراء الشعر وجنتاها بلون الورد وعيناها زرقاوان .

قلت انا ضاحكاً :

– اخطأت في هذا يا عم دحام ، فان عينيها رماديتان .

فصاح كالمغضب .

– بل هما زرقاوان . زرقاوان بلون الفيروز الباهت ، او بلون سماء الربيع اذا تقشع عنها الغيم بعد هطول مزنة عارضة . اني اعرفها جيداً .

وخيل الينا جميعاً ان دحام كان يهذي من حلم راه في نومه . فلم تكن لهجة المزاح بادية في حديثه . وكان قد نهض من مرقده وأخذ مكانه بيننا على النار يمد يديه اليها ليستدفىء من قر آخر الليل . فقلت له :

– واين عرفتها يا عم دحام ؟

فلم يجب ، وانما عبّ نفساً عميقاً من اللفافة التي قدمها اليه واحد منا وهو ساكت . وكان سكوته ادعى الى ان نركز انتباهنا فيه وان نثبت انظارنا عليه . ولعله شعر بأنه اثار من فضولنا ما فيه كفايته فلم يلبث ان قال :

– عرفتها هنا عند بئر الأكحل في سفح تلعة الخان . وكان ذلك منذ... منذ خمسين عاماً .

فضحك بعضنا وقال واحد من الشباب :

– ارجع يا دحام الى مكانك ونم ، فانك تهذي ...

ولكني اردته على ان يتكلم لأرى الى اين ينتهي بهذيانه وقلت له :

– لا تسمع لما يقولون يا عم دحام وقل لي كيف عرفتها .

فأحكم العجوز جلسته على حافة حفرة الموقد وتطلع اليّ بعينيه المختفيتين وراء تجاعيد وجهه ، ثم قال :

– نعم يا بني كان ذلك منذ خمسين عاماً ، وفي منزلنا هـــذا وفي ربيع مثل ربيع هذا العام .

وسكت قليلاً كأنما كان يستجمع ذكرياته ثم انطلق يتحدث ، موجهاً اليّ حديثه :

– منذ خمسين عاماً لم تكن الدنيا مثلها اليوم ، وكانت مثلها اليوم . لم تكن الأرض ضيقة ولا الناس كثيرين يتزاحمون تزاحمنـــا نحن وعشيرة الصفرات على ارض الخان وبئر الأكحل . بل ان عشيرة الصفـــرات في الايام ما كانت تجسر على ان ترد بئر الأكحل الا بعد ان يقبل جـــدك فياض ذبائحها وبعد ان يصدر كل رعـــاة البادية عن هذه البئر . ولكن الايام تغيرت يا بني وجاء يوم نضطر فيه ان ننزل الربيع كله على البـــئر وايدينا على سلاحنا لنمنع الصفرات من ورودها وفلاحة هذه الارض.

لم تكن الدنيا منذ خمسين عاماً مثلها اليوم جرأة من الضعيف على القوي ومن الباطل على الحق . ولكنها كانت مثلها اليوم خصباً وريف بادية . وانتم الذين تعلمتم في المدارس تعرفون اشياء كثيرة عن الارض والسماء ، ولكني شيخ عاش عمراً طويلاً وسمع الروايات من آبائه واجداده . اظن ان الدنيا تجدد شبابها مرة كل اربع وعشرين عاماً . في صباي كنت انجي من على ظهور حماري لأقطف ورد البادية في الربيع واخوض في العشب الى ما دون ركبتيّ . ثم ضاعت البركة من الارض فسفت عليها الرمال وشققت صفحتها الأخاديد واهلكها القيظ في الصيف والصقيع في الشتاء ، وها هي اليوم تعود سيرتها الأولى . يا صلاة النبي على ربيع هذا العام . ما اشبهه بذلك الربيع حين نزلنا منزلنا في سفح قلعة الخان وزارنا فيه اولئـــك الاروام وبينهم تلك الصبية ذات الشعر الأحمر الملتهب والعينين الزرقاوين كأنهما فيروزتان في محيا من الورد الندي .

نعم كان ذلك منذ خمسين عاماً ... كان اولئك الأروام يحملون فرماناً من السلطان وينتقلون على خيول مطهمة وعربات ذات لوالب . وكانوا ستة من الرجال وفتاة ، تلك الفتاة، وهي ابنة واحد منهم وخطيبة آخر. ضربوا خيامهم قرب الخان واستأجروا رجالاً منا يحفرون في هذا البنـاء الخرب ليبحثوا ، على قولهم ، عن آثار قوم مضوا . اما نحن شباب تلك الايام فما كان يهمنا من امرهم الا رؤية تلك الدمية ذات الوجه الضاحك وهي تطلع علينا في كل صباح بقدها الأهيف او تجلس معنا في كل مساء على النار مجلسنا هذا ، بينما نحن نتسابق على خدمتها ونمتع اسماعنا بصوتها وهي تلثغ بلسانها الرومي كلما حاولت ان تقلد واحداً منا في كلامه او تجاريه في غنائه.

وهنا سكت العجوز ومضى يحرك بعود في يده اطراف جذوع الطرفاء الملتهبة ويلهم بعضها الى بعض وكأنه بذلك كان يلهم بقايا ذكريات رسبت في اعماق خاطره الهرم. ثم لم يلبث ان عاد الى جديثه ونحن حوله نصغي اليه فقال:

– كان اثنان من تلك الجماعة يتكلمان بلساننا العربي افصح كلام. ولكم حدثانا في عشايا ذلك الربيع احاديث عجيبة عن بلادهم تلك البعيدة حيث تغمر الثلوج مراعيهم في معظم ايام السنة وحيث القطعان ليست ابلاً ولا شياهاً بل وعول من ذوات القرون المشتجرة. في تلك البلاد ، على ما كانا يرويان لنا، تغيب الشمس عليهم ولا تغيب . فهم في منتصف الليـــل في نور يستطيع خائطهم فيه ان يسلك الخيط في سم الابرة دون ان يستعين بنور المصباح . كلهم هناك مثل هؤلاء الستة طول قامة وزرقة عيون وشقرة شعر . الا ان الفتيات هناك لسن كلهن مثل هذه الصبية في حمرة الشعر. حمرة غريبة كحمرة جمر الرمث في نار عظيمة . فلا بد ان هذه الفتاة بدع بين لداتها هناك ، بل هي ولا شك بدع بين صبايا العالم اجمع . كنا كلنا على إيمان وطيد بهـــذا ولا سيما ، رحمة الله عليه ، زين شباب تلك الأيام عمّك – والكلام موجه اليّ – عمك حمود .

عمك حمود ... لقد كان اوحدنا وفارسنا منذ خمسين عاماً . انت اليوم يا بني حين يضيق صدرك تمتطي سيارتك الزرقاء وتدير رأسها نحو القرية او الى المدينة الكبيرة او الى البلاد التي وراء البحر لتسري عنك همك . اما عمك حمود فقد كانت عنده فرسه الهدباء ، شقراء ذهبية في لون الافق اذا كان الافق غائماً وكانت الشمس تخفي ذروتها دونه عند المغيب . فلو انك يا بني امتطيت هدباء مثل تلك الفرس الكحيلة ونظرت الى نفسك في مرآة لرأيت عمك حمود على ظهر فرسه ، فانك مثله طول قامة وسمرة وجه وكثافـــة حاجبين . فلا عجب اذا وقعت في هوى صاحبتك ذات الشعر الاحمر التي كنت تروي رواياتها لاصحابك ، فعمك قبلك وقع في هوى تلك البنية. ولا عجب كذلك اذا غرقت صاحبتك الى اذنيها في هواك فكذلك فعلت تلك في هوى عمك . ولو نطقت مواطىء حوافر الخيل في هذا السهل الذي ننزله اليوم لحدثتنا عن جولات ذلك الفتى وتلك الفتاة على ظهر فرسيهما في سفوح التلال المعشبة واغوار الوهاد الندية . اما النجوم، نجوم هذه البادية الفسيحة

فكم رأتهما ممددين على ظهريهما يستطلعـــان اليها في هذه الربعة ، دون ان يتكلما . وانّى كان لهما ان يتكلما وما كان احدهما يفهم من حديث الآخر لفظة واحدة ...

وسكت دحام ليجذب نفساً عميقاً من لفافته ، وليستريح . وكان رفاقي يصغون اليه غير مصدقين كأنهم كانوا يرون انه لا يزال يهذي. فقلت له انا:

— غريب ما تقصه علينا ياعم دحام هذه الليلة. لم اسمع بهذا من احد غيرك قبلاً . اولم تزعم ان خطيب تلك الفتاة وأباها كانا معها ؟

فقال دحام :

— انك لم تسمع هذا الحديث لأن جدك فياض رحمه الله حرّم ، بعدان جرى ما جرى ، حرم ان يذكر احد من الناس تلك الفتاة في مجلسه . اما في تلك الأيام فقد تحدثبها الركبان وغنى بها الشعراء على رباباتهم. وانا لا ادري يا بني ما الذي دفعني الى ان اتحدث اليكم بهذا الحديث في هذه الليلة، لعل ذلك لأني سمتكم وانا بين النوم واليقظة تتحدثون احاديث الصبا، والليل كما ترون ليل ربيع في آخره وصوت احتراق هذه الأعواد في الموقد يهيج الذكريات ، والنجوم ، تلك النجوم التي اراها من هنا فوق كاسر الربعة ، هي نجوم تلك الليالي منذ خمسين عاماً بذاتها ... لعل هـــذا كله هو الذي دفعني الى ان اهجر مضجعي لأحدثكم حديث تلك الفتاة المحرم . لو علم ابوك بحديثي هذا لما كان عني راضياً .

قلت :

— وماذا يهم ابي من هذا ؟

قال دحام وهو يتلفت وراءه الى حيث جناح العيال من الخباء ، كأنه يخاف ان يسمع ابي حديثه :

— لأن ذلك يحيي جرحاً قديماً من جروح قلبه ...

فصاح احد الفتيان :

— ماذا ، هل وقعت الأسرة جميعها في غرام تلك الفتاة الرومية ؟ وانت ايها الشيخ العجوز ، الم تكن تحبها ؟

فلم يرفع دحام رأسه ، ولم يجب على سؤال السائل . وانما عبّ آخـــر نفس من لفافته ثم أخذ يتشاغل باطفاء عقبها على حافة حفـرة الموقد ثم في دفنه في قلب رماد حطب الطرفاء . ولما استأنف حديثه استأنفه هامساً ، فقال :

— ان سهل الخان والبادية التي تحيط ببئر الأكحل هي منزلكم ومنازل آبائكم واجدادكم قبلكم . ومنذ خمسين عاماً سالت ، او كادت تسيل ، في هذا السهل دماء أخوين تنازعا في هوى فتاة رومية حمراء ، ويشهد الله انه كان هوى كهوى مجنون ليلى وبني عذرة ، لاشين فيه . ولكـن عشيرة الصفرات تقف اليوم على حد هذه البادية من الشمال وتريـــد ان تتجاوزه الى بئر الاكحل . فاذا رغبتم بهذا فأنتم ، يا شباب ، ابناء رعاة غنم اهلكم ولستم ابناء آبائكم ...

وسكت دحّام ، فخيم السكوت علينا في الربعة . الا اني مزقته بقولي:

— لا تحاول ان تتهرب من القصة يا عم دحام . انك ترانا نسهر الليل حتى الصباح في مناجزة الصفرات وننتظر اليوم الذي يتصافح فيه رصـاص بنادقنا برصاص بنادقهم . ولكن قل لنا ، تلك الحمراء هل احببتها انت ام لا ؟ وقل لنا كذلك من الذي كان اقرب الى قلبها ، على قرب خطيبهـــا منها ، ابي ام عمي حمود ؟

فتضاحك دحام وهو يقول :

— آه من الشباب ! انتم في واد وانا في واد يا ابن اخي . ألم اقل لك انك شبـــه عمك كأنك شقيقه التوأم . ؟ . ام تريدني ان انال اباك بالمذمة وانا اقرنه بأخيه ؟ .. دعوني من هذا.

ودوت، ودحام في حديثه هذا، طلقتان بعيدتان ارتفع لهما نباح الكلاب فثرنا من اماكننا وتناولنا بنادقنا ، كما ارتفعت من جانب العيال نحنحة ابي المألوفة تعلن انه استيقـــظ وانه قادم. الا ان آتياً من جانب النزل هدأ الضجة بأن ليس هناك ما يشغل البال ، فعدنا الى حيث كان دحام نريـــد الاستزادة من حديثه . غير ان دحام لم يكن يهوى الافاضة في الحديث اذ انه اشار الى حيث ارتفعت نحنحة ابي وقال كالمحذر :

— انه قادم ، فهيا تفرقوا الى مضاجعكم واياكم وان تتكأوا الجراحات المتئمة !

فتفرقنا ، ذهب من كان ذاهباً الى خباء اهله واندسست انا في جانب من المضافة في فراشي .

لم يكن النوم بعيداً عن عيني ، فلقد سهرت طويلاً حول ربابات ابناء عمي في اول الليل وعلى حديث دحام في آخره . ولكن سالي خطـــرت لعيني كما رأيتها في آخر ليلة لنا في ابسالا ، خطرت بكل جمالها وفتنتها ، الا ان عينيهـــا لم تكونا رماديتين بل كانتا زرقاوين بلون الفـــيروز الباهت او بلون سماء الربيع بعد هطول مزنة عارضة . لقد عدت مـــن ابسالا منذ زمن بعيد ، ومـــن اوروبا كلها منذ اربعة اعوام ، وها أنا الآن في البادية حول بئر الأكحل قرب الخان احيا حياة لا تمتّ بصلة الى حياتي كطالب حقوق مزمن في الحي اللاتيني في باريس . دراستي هناك لم اتمها لأن ابي استدعاني اليه حين رآها لا تميل الى الانتهاء ، رأى ان كل فضائلي البدوية مهددة بالتلاشي في جو البلاد الغربية . ومنذ قدمت بلادي القى بي في خضم الحياة التي عاشها هو والتي اعدني لها لأحل ، ذات يوم ، محله من العشيرة في الحفاظ على حقها من الأرض والمنعة ومن المكانة بين العشائر . اربعة اعوام قضيتها اتنقل بين القرية والمدينة الكبيرة بقربها ، وبين البادية ومزارعنا في اطرافها . احسبني في هذه الأعوام الاربعة قد جزت الامتحان وحققت لأبي كل ما تمنى فيّ الا شيئاً واحداً ، وهـو ان اتزوج واعقبه حفيداً . فانا لم اعقب ولداً ولا تزوجت . اما فيما عدا ذلك فقد ثبت لأبي اني ابنه ومن صميم قومي ، ولا سيما في مقامي كل هذا الربيع في سفح قلعة الخان عند بئر الأكحل اناجز عشيرة الصفرات العداء واحول بينهم وبين التسلل الى ارضنا .

الخلاف بيننا وبين عشيرة الصفرات على بادية بئر الأكحل هو الخلاف على كل ارض في هذه الأيام . كل من حفر بئراً في البادية فهي له وماحولها من الارض . ومن نزل منزلاً في السنين المتعاقبة في هذه السهول الشاسعة فهو له . ما أعجب شريعة القبائل في التملك . فقبيلة الطوالع ذهبـــت ببادية الخبرات حين جاءت بمن شهدها الشهادة الثابتة المقبولة ان جداً من اجدادها طرد ثعلباً على فرسه فصرعه بعصاه ثم دفن تلك العصا في قاع خبرة من تلك الخبرات . اما بادية بئر الأكحل فان عشيرة الصفرات تنازعنا الحق فيها ونحن الذين حفرنا بئرها وضربنا السنين الطوال اوتاد اخبيتنا في سفـــح خانها الأثري ، بل وعشقنا الصبايا الروميات في ارجائها ، اولئك الصبايا الزرق العيون الوردية الوجنات الحمر الذوائب .

كنغسهولمن ، والخان ، وابسالا ، وسالي ، وعمي حمود... احسست وانا بين اليقظة والنوم بان ثمة روابط تربط بين كل هذه المعاني والصور . ألم ار صورة الخان بين صفحات ذلك الكتاب المخطوط الملقى على منضدة العجوز في كنغسهولمن في ستوكهلم ؟... والصورة التي ارتنيها سالي في تلك الليلة ، تلك الليلة في ابسالا ؟...

تلك الليلة ...

اغلق الخادم وراءه باب الغرفة بعد ان تمنى لنا ليلة سعيدة ، وانصرف .

وكنا قد بلغنا ابسالا بعد منتصف الليل بعد رحلة في القطار استغرقت نحواً من الساعتين قضتها سالي متكئة على كتفي، لا تتكلم ، غافية . اما انا فلم اغمض اجفاني على عيني طوال تلك الرحلة ، ولكني كنت فيها ساكتاً ساكناً احاذر ان آتي بحركة فازعج بها الرأس الجميل المتكيء على عضدي. اما خاطري فكان يعيش بالذكريات والأفكار ، ذكريات وافكار لم تبارحني حتى في هذه الآونة وانا منطرح بكل ثيابي على احد سريري هذه الغرفة الصغيرة الآنيقة في ملحق الفندق الذي نزلنا فيه في ابسالا، اتطلع الى سالي وهي ترتب امتعتي وامتعتها في هدوء وتسدل الستائر على النوافذ في تباطؤ كأنها تتعمد ان تطيل بيني وبينها شقة السكون قبل ان تمزق بيننا الحجب ، كل الحجب .

كنت منطرحاً ، بكل ثيابي ، على احد سريري الغرفة . انا في ابسالا، من انا ؟ فتى من الشرق ، طالب حقوق في باريس يقضي اسبوعين من عطلة الصيف في بلاد السويد . ما ابعد ما بين تلك القرية الصغيرة الملتهبة الجو المغبرة الأفق الغارقة في البداوة والضائعة في سهول شمال سوريا وبين هذه القرية في ضواحي ستوكهولم . قرية ليست ضائعة بين مدن اوروبا الكبرى فان تاريخها وجمالها وجامعتها ، جامعة ابسالا الشهيرة ، قد احاطت اسمها بهالة من الشهرة حببت زيارتها الى كل الناس حتى الي ، انا الذي برمت بجامعة باريس وبدروسي الفاشلة فيها . ان الساعة التي تتناهى الي دقاتها قد تكون ساعة جامعة ابسالا في واجهة بنائها الرئيسي او ساعة القلعة الجبارة التي بناها ملوك سفيا ، او ساعة الكاتدرائية الرائعة التي ترجع الى خمسة قرون مضت. والاضواء التي تلوح لي من خلال فرج الستائر في نوافذ المدينة النائمة قد تكون الاضواء التي تنير مجلدات الكتب التي يقلبها احد العلماء الاعلام، او اضواء باحث في مختبر ، او اضواء الحب في خلوة عاشقين . ما اروع الليل في هذه البلدة الصغيرة وما اجل ابسالا ! ولكن اجل من كل ما في ابسالا سالي ... سالي الحمراء الشعر الناهدة الصدر النارية الشفتين . سالي التي ستنضو عما قليل هذا الثوب الأزرق الذي يلف مفاتن قدها ثم تلقي بنفسها ، جسداً فاتناً وروحاً جميلة ، بين ذراعي وعلى صدري...

عجيب ما تأتي به الايام ! هل كنت ، حين مرت الرحلة الى السويد في بالي ، افكر بأني سأقضي ايامي هنا مع فتاة مثل سالي؟ كنت حينذاك افكر في فيرا وغرترود وماريان من صديقاتي وصديقات رفاقي في باريس ، في اولئك النورديات الجميلات اللواتي كن يقبلن على اللذة بين احضاننا دون تردد ، ودون تهالك ، كأنهن باحثات يسعين وراء مجهول ليتعرفن عليه ، فهن لا يتورعن ولا يندفعن. ولكن سالي فتاة غير ذلك ، فتاة عرفت كيف توقفني عند حدي دون ان تزهدني بنفسها، وان تسلب لي بسحر من براءتها ما كنت احسبني انقاد اليه في ذات يوم وانا الذي اضاع ايامه ، بل سنّي دراسته ونجاحه في تلك الدراسة ، في باريس ينقل هواه من فتاة الى فتاة ليكتشف ان وراء كل علاقة بالروح شهوة جسدية عارمة او غاية مادية محسوبة بالارقام . كنت اعد نفسي لتلقي دهشة اصدقائي وسخرية صديقاتي في حلقات مقاهي الحي اللاتيني حين اعود اليهم في باريس فأقص عليهم كيف قضيت اسبوعي في بلاد السويد في هوى عذري بريء وعلاقة افلاطونية نقية. وكان ذلك حسبي من سالي . ولكن هذه سالي نفسها هي التي تختار لي ولها ان تضمتا غرفة واحدة في هذا الركن الهادىء المنعزل في اقصى بلاد الدنيا في ابسالا .. فاذا احبت سالي ذلك فاني لست بالآسف ابداً على ان قهقهات السخرية لن تتعالى حولي حين اعود الى صديقاتي واصدقائي في باريس ، ولكني في نشوة، في نشوة مسكرة حين افكر ان سالي ستكون لي، بعد كل ذلك التمنع ، وفي هذه الليلة البديعة ...

كنت لا أزال مضطجعاً بثيابي على احد سريري الغرفة حين التفتت سالي الي وقالت ، ويدها على زر الكهرباء :

ـ هل تسمح ؟

وكانت وجنتاها مضطرمتين وشفتاها في حمرة الجمر المتقد، ممسكة بيدها غلالة نوم رقيقة في لون السحاب الوردي. ولم تنتظر سالي جوابي بل اطفأت النور فساد ظلام كثيف كانت تتخلله خيوط ضوء نحيلة تتسلل من شقوق الستائر من مصباح في ناصية الشارع . وخيم صمت لم يكن يسمع فيه إلا حفيف الثياب التي كانت سالي تنضوها عن جسدها وتلقي بها على اريكة في الغرفة. وتوهمت اني كنت اراها ، ارى سالي ، في عريها البديع، دون ما ضوء، ملفوفة بغلالة من ظلام الغرفة قبل ان تضفي على بدنها غلالة نومها الوردية وتوهمت كذلك اني كنت اسمع تردد انفاسها ونبضات قلبها واني احس حرارة جسدها تلهب جسدي . كان الصمت الذي بيننا افصح من الكلام ، والظلام الذي يلفنا اصرح من النور . وفجأة امتلأت الغرفة ضوءاً، وتكلمت سالي:

— لقد اعددت لك مفاجأة .

فتطلعت اليها في غلالتها الشفافة التي اصبحت في لون الماس بما تخللها من لون جسدها الوردي ، فسحرتني رؤيتها . لم يكن جسدها عارياً بتلك الغلالة بل كان كأنما تدثرت بالغمام او غرقت في كومة من ورق الورد . وعجيب ان يثير الظلام في نفسي الشهوة العارمة فاذا رأيتها في وضح النور بادية خطوط الجسد عارية الزندين متلعة الجيد امتلأ قلبي حناناً عليها كأني ارى بها طفلة تسبح عارية في حوض ماء .

قالت سالي :

— لقد اعددت لك مفاجأة .

وكان حرياً بي ان اقول لها : ليس بعد هذه مفاجأة ، ان نكون وحدنا هذه الليلة في حجرة واحدة ! ولكني قلت :

اي مفاجأة يا سالي ؟

فمدت يدها الي بصورة وهي تقول :

— انظر .

فتطلعت في الصورة فرأيت صورة شمسية يبدوانها اخذت منذ عهد بعيد ، صورة فارس عربي على صهوة جواده . قالت سالي :

— هل تعرفه ؟

لم اكن اعرف الفارس ، وانما خيّل الي ان ملامحه ليست غريبة عني . قلت لساني :

— هذا فارس من بلادي . ولكن هل تحسبين انني اعرف كل عربي تحت الشمس ؟ ؟ يبدو لي ان هذه الصورة اخذت في ايام اختراع الفوتوغرافيا ، منذ عشرات السنين اعني ، فكم تحسبين لي من العمر ؟

فضحكت وقالت :

ـ تطلّع في الصورة جيداً وانظر هناك الى المرآة ...

فأمعنت النظر في وجه الفارس الذي كان يبدو في مقتبل العمر واسع العينين دقيق الوجه طويل الأنف ، ولم البث ان صحت :

ـ يقيناً ان هذه مفاجأة . تكاد أن تكون صورتي !

وكان الفارس يشبهني حقاً شبهاً عجيباً . فقلت :

ـ ولكن من اين جئت بهذه الصورة يا سالي ؟

قالت :

ـ من تلك السيدة في كنفسهولمن . بينما كنت انت مشغولاً بحـزم الأمتعة كنت احادثها واقلب صفحات ذلك الكتاب المخطوط ، فرأيت هذه الصورة بين صور كثيرة فاستوهبتها منها .

قلت وانا لا ازال في دهشة من هذا الشبه العجيب الذي تشبهني به الصورة :

ـ ترى من يكون هذا الفارس ؟ ومن اين انتهت صورته الى تلك السيدة ؟

قالت سالي :

ـ لقد حدثتني ان زوجها كان عالماً اثرياً ورحالة كتب كثيراً عـن رحلاته ، وانه كان يعد كتاباً عن رحلة له في بلاد الشرق الأدنى مع بعثة تنقيب عن الآثار حين مات في ريعان شبابه منذ اكثر من اربعيـن عاماً. وهذه الصورة من ذلك الكتاب ...

فرفعت عيني عن الصورة الى سالي لأسألها من جديد ، ولكن بصري زلّ فوقع على مزلق حمالة الغلالة من منكب صديقي ، حيث بدا ظـل بنفسجي ناعم في الثنية التي تفصل منبت الذراع عن منهد الثدي . فوضعت الصورة من يدي جانباً ، وامسكت كف الحـورية الساحرة التي كانت امامي وجذبتها الي مغمغما :

ـ سالي !

فتراجعت،لدهشتي ، سالي الى حيث كان سريرها بعيداً قدر خطوتين عن سريري ، وقالت وعلى شفتيها ابتسامة غريبة :

ـ ليست الصورة وحدها التي رأيت عند تلك السيدة العجوز. بل اني قرأت جزءاً من فصل من ذلك الكتاب المخطوط .

وكان تمنع سالي قد دفع الدم فائراً في عروقي ، فلعنت في سري الكتب والصور وتلك العجوز ، وهمست :

ـ ما لنا ولذاك يا سالي ، تعالي الي ...

ولكن سالي استمرت في حديثها:

ـ هل تعرف مـاذا كان عنوان ذلك الفصل ؟ كان عنوانه : اخلاق اهل البادية !

قلت ، وقد فرغ صبري :

ـ اني اعرف اخلاقهم جيداً ، فأنا منهم .

فقالت :

ـ لم يكن غريباً عليّ ما قرأته في ذلك الكتاب المخطوط لقد عرفتك قبل ذلك فعرفت كرم اخلاقك. اتراك ستكذّب هذه الليلة معرفتي بك وما كتبه مواطني ذاك الذي عاشر اهلك وبني قومك ؟

وسكتت سالي ، بينما ظللت انا صامتاً لا اتبين، لثورة الرغبة في دمائي، معنى ما تقول صديقتي . غير انها لم تلبث ان افصحت بقولها :

ـ اني احبك . ليس سهلاً على فتاة مثلي ان تقول هذا لأنسان . فاذا كنت تحبني مثل حبي لك فلا تحطم في نفسي صورتك . كنت اعلم ان هذا سيكون قاسياً علينا نحن الأثنين،ان نكون جد قريبين احدنا من الآخر وجد بعيدين في آن واحد . ولكني كنت واثقة من نفسي، وشجعتني انت على ان اثق بك . وتلك الصفحات في ذلك الكتاب المخطوط ؟ لقدعرّفتني ان ثقتي بك في محلّها ... قل لي اني لم اكن مخطئة .. قل لي !

فلم اقل شيئاً . ولكني كنت احس اني في حلم . لم اكن اصدق ماتسمعه اذني ، فلما وعيت ما قالتهسالي شعرت اني غصصت بريقي وتحولت كل الشهوة الثائرة في دمي الى غيظ اكال . غير اني لم انبس ببنت شفة وانما قمت في هدوء متصنع ، بينما ايقظ الغيظ في نفسي جذور كبرياء عمياء ، ودون ان القي بنظرة الى جسد سالي الملفوف بغلالته الوردية ، قمت الى زر النور في اقصى الغرفة فأدرته ، فغمرنا الظلام الأسود ، ثم عدت الى فراشي.

وخيم صمت طويل قلت لنفسي في اثنائه: كل النساء سواء . ما كان اسخفني حين تعلقت بهذه الفتاة الحمقاء . سأكتب غداً الى فيرا فنلتقي في ستوكهولم. الى جهنم بكل هوى عذري ومحبة افلاطونية ! وبينما كنت احدث نفسي بهذا سمعت سالي تقول ، بعد ان اندست في فراشها :

ـ اما تقبلني ؟

فلم اجب . ولكني ، في فراشي ، حولت ضجعتي من جنب الى جنب. وسمعت صوتاً مكتوماً متقطعاً ، تبينته بعد قليل : تنهدات خفيفة تحولت الى جهشات . لقد كانت سالي تبكي ، وتبكي بشدة . وكنت اعرف النساء الا اني لم اخط الخطوتين اللتين كانتا تفصلان سريري عن سرير سالي ، بل شعرت في اعماقي بلذة كبرى في ان ادع هذه الفتاة الجميلة تبكي . ولست اذكر كيف قفز بي الخاطر الى قمر، جارتي الصبية الحلوة التي كنت اغازلها في تلك السنة من سني دراستي الأولى في دمشق . ففي احـدى الأمسيات ، حين كان اهل قمر يحتفلون بعرس ابنهم الكبـير سمعت صوت الحبيبة تحت نافذة الشرفة . كانت تضحك وتقهقه وتكلم رفيقتها بصوت عال لتوقظني وتعلمني انها تحت الشرفة ، واني استطيع ان افتح لها الباب فنقضي دقائق حلوة في خلوة ما دام القوم في عيد.ولكني ذكرت المشاحنة الأخيرة بيننا ، ففضلت على لذة ضمها الى صدري وتقبيل ثغرها الدقيق ان اتمتع بحسرتها على رؤيتي واذلالها بالانتظار تحت النافذة وبالتعرض الى عيون الأهل والجيران شوقاً اليّ . آه من كبريائنا نحن الرجال ... كانت سالي في فراشها في زاوية هذه الحجرة الأنيقة في ابسالا من بلاد السويد تجهش وتنشج ، بينما كنت انا احلم بدمشق وبقمر تحت نافذة الشرفة هناك ...

هذه المجلة

طبعت في مطابع « الآداب » الـتي تعلن استعدادها لطبـع الكتب والمجلات والنشرات التجارية طبعاً أنيقاً وسريعاً ، على آلاتها الاوتوماتيكية .

بيروت ـ الخندق الغميق ـ شارع الشدياق

ص. ب ١٠٨٥ تلفون ٢٦٩٩٦

ان رجم جاسم ، وهو هضبة وسط بادية . سمي باسم جاسم ثم ملكا والارض التي حوله جاسم وابناؤه بعده ،لان جاسماً ، حينما اعرس باهله ، بنى صيوان عرسه على قمة ذلك الرجم . وكذلك امر الطوالع وبادية الخبرات ، ثبت حق الطوالع فيها حين ثبت ان جدهم دفن عصاه التي صرع بها الثعلب في قاع احدى تلك الخبرات . اما نحن فاننـــا نزلنا ارض بئر الاكحل وبادية الخـــان منذ خمسين عاماً . واذا كانت عشيرة الصفرات ترد شهودنا فاني اعرف شاهداً لا يرد ، شاهـداً سجل شهادته في كتاب مخطوط وايد ذلك الكتـــاب بصور شمسية حين كان التصوير الشمسي في اول عهده منذ خمسين عاماً . واذا كان الشاهد قد قضى فان كتابه لا يزال ملقى على منضدة امرأة عجوز في حي كنغسهولمن في عاصمة السويد..

كان ذلك حديثي الى ابي في صبحة الليلة التي قص علينا فيهـــا دحام قصته فعرفت منها ان ذلك الفارس الذي رأيت صورته والذي كان يشبهني كل الشبه ما كان غير عمي حمود . ولكن ابي كان زاهـداً في سفري الى ستوكهولم ، راغباً في تزويجي ليرى بعينه وهو حي اولاد ابنه الوحيد . وكان يلقي على اقامتي الطويلة في ديار الغرب ذنب هذا الزهد الذي يراه مني في الزواج، ويخشى ان ترجىء رحلة جديدة الى تلك الديار المعونة تفكيري في اختيـــار رفيقة لي اربع سنين اخرى . غير ان شيوخ العشيرة لم يكونوا من رأيه ، وكان عداؤهم للصفرات شغلهم الشاغل . فلما استعنت بأولئك الشيوخ عليه لانت عريكته ورضي بسفري . وهكذا طرت ذات صباح من دمشق ميمماً تلك الديار التي حفظت لهـا في اعماق نفسي ذكريات لم تقو الايـــام على ان تمحو من نفسي طيبها وعذوبتها وبردها الندي .

بروما ، سلوسن، ستورتورغ، ريدارفيردن، جزر ستوكهولم المبعثرة في البحر المحيط بها ، وكل تلك الاماكن الساحرة التي شهدت ليالينا انا وسالي ... وسالي ، سالي التي دأبت على ان ترسل الي ، كلما غيرت مسكناً لها ، كلمة واحدة هي عنوان مسكنهـــا الجديد . كل ذلك كان ينتظرني في نهاية هذه السفرة التي ابحث فيها عن اثر عجوز تملك كتابـــاً مخطوطاً في احد احياء ستوكهولم القصية . ولكني لم اعثر على تلك العجوز الوحيدة في بيتها ذاك في كنغسهولمن . ذلك ان خمسة اعوام لم تكن بالشيء الهين في حياة امرأة مسنة على حافة قبرها. لم اجد تلك العجوز ولا اثراً لذلك الكتاب المخطوط ، ولا دليلاً جديداً على حق عشيرتنا في بادية بئر الاكحل وسهل الخان . ولذا فقد عدت الى ابي بخيبة الرجاء .

ولكن هل خاب رجاء ابي حقاً ؟ ذلك كان ظني ... الا أني ما كنت في قلب ابي لأعرف ماذا يحب ويفضل في ايامه اللواتي بقين له . ما كان اهون بادية بئر الأكحل عليه ، بقيت او ذهبت . ولكن ما كان احرصه على ان يرى بضعة حية منه تدرج امامه على هذه الأرض التي يعيش عليها اليوم والتي كان يحس بقرب فراقه لها . وما كنت اظنه بعد خيبتي الأخيرة هذه يرضى علي حتى رأيت نظرته . نظرة الطمأنينة والراحة كأنمـــا هو الذي آب الى داره بعد طول غيبة لا أنـــا ، نظرته التي القاها على تلك التي اخذت بيدها اعينها على النزول من سيارتي الزرقاء لاول مرة على باب بيتنا الكبير في قريتنا الصغيرة ، اعني سالي ... زوجتي سالي .

هذه هي سالي ...

الرقة - سوريا

عبد السلام العجيلي

دار البيضاوي - بيروت

للتأليف والترجمة والنشر

ص.ب: ٢٩٩٥ تلفون: ٣١٣٠٧

صدر عنها حديثاً

ق . ل

١ - **ذوبان الجليد** تأليف : ايليا اهرنبورغ
ترجمة : جمال البيضاوي ١٥٠

٢ - **عبدالعزيز آل سعود** تأليف : ڤون ميكوش
ترجمة : الدكتور امين رويحه ٢٥٠

٣ - **الليالي البيضاء** تأليف : دوستيفسكي
ترجمة : المحامي عبدالله البيضاوي ١٢٥

٤ - **سياسة اميركا الخارجية** بقلم : خيرات البيضاوي ١٧٥

٥ - **الهند وسياسة الحياد** « « « ١٠٠

٦ - **العمـــلاق الاصفر** « « « ١٠٠

٧ - **المانيا بين الشرق والغرب** « « « ١٠٠

٨ - **وميض النار في المغرب العربي** « « « ١٠٠

٩ - **ايران ترقص على كف عفريت** « « « ١٠٠

١٠ - **حرب التحرير في الهند الصينية** « « « ١٠٠